

## المسألة اليهودية تخترق المجالات

"لابد وأن نفرض على حكومات الأغيار أن تتبنى الإجراءات التي من شأنها أن تروج لخطتنا والتي تكاد تقترب من هدفها الناجح، وذلك من خلال ضغط الرأي العام والذي هو في الحقيقة من تنظيمنا، وبمساعدة ما يسمى بـ "القوة العظمى" للصحافة. وباستثناءات قليلة لا يجب الالتفات إليها فقد وقعت في أيدينا بالفعل".

(البروتوكول السابع).

\* \* \*

في ذات مرة ذهب أحد أعضاء هيئة التدريس بإحدى الجامعات الأمريكية إلى روسيا في زيارة عمل، وقد كان خبيراً في أحد الأقسام الهامة للعلوم التطبيقية، كما كان ملاحظاً مهتماً، وقد ذهب إلى روسيا بالإحساس الأمريكي العادي حول معاملة الحكومة الروسية للشعب اليهودي، واستقر هناك لمدة ثلاثة أعوام وعاد إلى الولايات المتحدة لمدة عام، ثم ذهب مرة أخرى لروسيا لنفس المدة، وعند العودة الثانية للولايات المتحدة شعر بأنه حان الوقت لتقديم معلومات صحيحة للرأي العام الأمريكي فيما يتعلق بالمسألة اليهودية في روسيا. وقام بإعداد مقال مكتوب بدقة شديدة وأرسله إلى المحرر بإحدى المجالات الكبرى بالشرق الأمريكي. وأرسل المحرر إليه يستدعيه وقضى معه تقريباً يومين، واندھش المحرر لكم المعلومات التي ينطوي عليها المقال، غير أنه اعتذر عن عدم إمكانية نشر المقال، وقد كانت تلك نفس ردة الفعل التي تلقاها من عدد آخر من محرري المجالات الكبرى.

ولم يكن هذا الرفض بسبب أن الأستاذ الجامعي لا يكتب جيداً، فهؤلاء المحررون أنفسهم كانوا ليشترخوا أى شىء يكتبه حول أى موضوعات أخرى، ولكن كان الأمر مستحيلاً بالنسبة له أن يجعلهم يوافقون أو ينشرون مقاله عن اليهود في صحافة نيويورك.

المسألة اليهودية إذن تمكنت من اختراق صناعة المجالات، ولكن يمكن اعتبار هذا الاختراق بمثابة جزء صغير (شظية) من الهيكل الذي يقذفه المعسكر اليهودي

للتستر على المسألة اليهودية والقضاء عليها برمتها، ومن ثمَّ يكون بإمكانهم التأكيد على أنه لا يوجد شيء اسمه المسألة اليهودية.

وللمصادفة فإن هذا المقال يكاد يكون الوحيد من نوعه الذى تناول المسألة اليهودية، وكان يمكن أن يثير اهتمام المجلات الكبرى لنشره، ورغم ذلك تظل حقيقة أن رأى العام قد يعلم الكثير عن المسألة اليهودية، حتى من تلك المقالات التى تسعى لإثبات أن المسألة اليهودية غير موجودة. وقد قام المحرر ويليام هارد فى مجلة المتروبوليتان بما هو متوقع حينما أراد استخدام المادة العلمية الموجودة بحوزته. ومما لا شك فيه أن "ألوية الخطابات والتلغرافات" التى ترصد كل ما يكتب عن اليهود، قاموا بتنهئة المحررين الجيدين لمجلة المتروبوليتان لمساعدتهم فى تنويم الرأى العام.

ونأمل أن تحظى جهود السيد هارد بالمزيد من القراءة - وذلك لصالح المسألة اليهودية- لأنه يوجد الكثير الذى يجب تعلمه من هذا المقال، ربما أكبر بكثير مما كان ينويه أي شخص، وربما ما يجب أن نعلمه أولاً هو أن المسألة اليهودية موجودة، ويقول السيد هارد إنه يتم النقاش بشأنها فى "صالات التحرير" فى لندن وباريس، ولكن الأمر غير الواضح فى مقولة السيد هارد هو إذا ما كان تعبير "صالات التحرير" الذى استخدمه هو مصطلح صكه الكاتب للإيعاز- فى حميمية- بأن الموضوع غير ذى أهمية، أو ربما أن المصطلح يمثل الحد الذى بلغه اتصال السيد هارد بالمسألة اليهودية. وهو يذكر إحدى الوثائق ذات الصلة بالمسألة اليهودية والتى- على حد وصفه - "قد تنقلت بين الدوائر الرسمية فى واشنطن"، ويذكر هارد أيضاً برقية أرسلت إلى جريدة نيويورك ورلد، وتتعلق بنفس الموضوع الذى نشرته الجريدة. وربما لم يلحظ هارد المقال الذى نشر بجريدة لندن تايمز وعرض للوثيقة الأولى التى أشار إليها، وقد يعود ذلك إلى كون مقال هارد ربما نشر قبلها. فى مقاله أخبر هارد القارئ - الذى يبحث عن الحقائق الموضوعية- بأن هناك بالفعل مسألة يهودية، وأنها ليست موجودة بين الرعاى، ولكنها موجودة بالأساس فى تلك الدوائر التى بها نفوذ وسيطرة لليهود، بالإضافة لذلك فإن السيد هارد يخبرنا بأن المسألة تخضع بالفعل للنقاش، وإذا لم يذهب إلى أبعد من ذلك؛ ليقول لنا إنه يتم تدارسها بجدية شديدة فى الدوائر العليا وبين رجال ذوى أهمية محلية وعالمية، فربما يعود ذلك لسببين، أولاهما: أنه لا يعرف، وثانيهما: أنه لا يعتبر ذلك موائماً مع هدف المقال.

ولكن السيد هارد قد أوضح فعلاً بأن هناك مسألة يهودية، وأنها تخضع للنقاش وأن هذا النقاش يتم بواسطة أناس هم أقدر من يقيمون ويلحظون الموضوع الذى يتحدثون عنه.

إن قراءة مقال السيد هارد تجعل من الواضح أن المسألة اليهودية دائماً ما تأتى إلى المقدمة حينما تذكر نظرية المؤامرة، ويقول هارد إنه بالتأكيد لا يؤمن بفكرة المؤامرة التى يندخ بها أعداد كبيرة من الناس، وهذا الاعتراف بعدم التصديق بفكر المؤامرة استقبل بارتياح شديد من قبل قطاعات كبيرة من غير اليهود؛ لأنه ليس هناك شىء أكثر سخفاً بالنسبة لعقل الأغيار من فكرة المؤامرة الجماعية، حيث لا يوجد أمر أكثر استحالة بالنسبة لعقل الأغيار من هذا الأمر. و هارد- كما سنعتبره - من نسل غير يهودى، وهو يعلم تمام العلم مدى استحالة توحيد الأغيار معاً فى رابطة واحدة بأعداد معينة ولفترات زمنية مختلفة حتى لتحقيق أنبل المؤامرات (الأهداف)؛ لأن الأغيار ليسوا مجبولين على ذلك الأمر، ومؤامراتهم - أيا كانت- ستتهار مثل جبل من الرمال، فالأغيار ليس لديهم الأساس العرقى أو المصلحى الذى يتمتع به اليهود الذى يدفعهم للوقوف معاً. الأغيار إذن ليسوا مجبولين على التشكك بوجود مؤامرة، وفى حال غياب الدليل الكامل على وجودها فإنه لن يصل حتى لحافة الاقتناع بوجودها.

وبالتالى من السهولة بمكان فهم الصعوبة التى يجدها هارد فى تقبل فكرة المؤامرة، والفكرة هنا هى أنه حتى يتمكن من كتابة مقاله على الإطلاق، فهو مضطر إلى الاعتراف- فى كل خطوة تقريباً- بأنه كلما نوقشت المسألة اليهودية فإن فكرة المؤامرة لا بد وأن تحتل جزءاً كبيراً من النقاش، وفى حقيقة الأمر تكاد تكون هى بالفعل الفكرة الرئيسية التى يدور حولها المقال، كما وأنها تكاد تسيطر تماماً على عنوان النقاش "المؤامرة اليهودية الكبرى".

والبحت عن الحقائق الأساسية فى مقال هارد من شأنه أن يكشف عن معلومات إضافية تشير إلى وجود وثائق تحوى تفاصيل المؤامرة أو- حتى نسقط هذه الكلمة الكريهة والتى قد تكون مضللة حتى أننا لم نستخدمها فى هذه السلسلة- سعى النفوذ اليهودى لتحقيق السيطرة الكاملة. هذا إذن كل ما يعلمه القارئ من مقال هارد حول الوثائق، غير أنه يصف واحدة من تلك الوثائق بأنها "غريبة

وفظيعة" وهنا توجد بالفعل حلقة مفقودة فى القصة، ذلك أن هارد يكتب ليشكك فى صدق وثيقة ما، ومع ذلك فهو لا يقول نصها، ومعروف أن الوثائق المشكوك فى مصداقيتها عادة ما تنزع عن نفسها الثقة أو الاعتبار، ولكن هذه الوثيقة لم يطلع عليها القارئ، وغير مسموح له بذلك، وما عليه سوى أن يصدق شكوك هارد حيالها. أما الناقد والباحث الجاد، فسوف يشعر بطبيعة الحال بأن الوثائق محل النزاع صارت تشكل أساساً أفضل لإصدار حكم عاقل. إذا ما وضعنا هذه المسألة جانباً، فإن مقال هارد قد كشف حقيقة أساسية وهى أن هناك وثائق موجودة .

ويؤكد هارد على أن المقال يهدف بالدرجة الأولى - كما كتب - إلى تبيان كيف أن اليهود ليس لديهم علاقة كبيرة بما يحدث من السيطرة على مجريات الأمور، وذلك بمحاولة توضيح من هم اليهود الذين يسيطرون بالفعل على مجموعات مختارة من شئون الحكم. ويقدم هارد فى مقاله لائحة بالأسماء كلها، وهو وحده مسئول عن تلك القائمة - كما يخبرنا - ويؤكد بأن الغرض من الإشارة إلى تلك القائمة هو فقط إظهار ما يمكن أن نتعلمه منه.

ويشير هارد بكثرة إلى الشئون الروسية حتى ليبدو فى بعض الأحيان وكأن المسألة اليهودية ينظر إليها باعتبارها المسألة السوفيتية، رغم أنها ليست كذلك، ويعلم هارد ذلك الأمر جيداً، ورغم أن كلتا المسألتين مرتبطتين إرتباطاً واضحاً إلا أنه من قبيل الدعاية الفاضحة أن نؤسس لقصة خيالية بولشفية، ثم نحاول صرعها بحقيقة يهودية لتحقيق مصلحة الأخيرة. ولكن يمكن اعتبار أن ما يقدمه هارد كحقيقة هو بمثابة عمل توجيهى بغض النظر عن النتائج التى استخلصها من هذا المقال.

ولكن فلندرس بعض الحقائق التى وردت فى المقال، حيث يقول بأنه لا يوجد سوى يهودى واحد فى مجلس الوزراء فى روسيا السوفيتية، ولكن هذا اليهودى تروتسكى، هناك بالطبع يهود آخرون فى الحكومة ولكن هارد يتحدث فقط عن مجلس الوزراء، وهو لا يشير إلى القوميسيرات الذين يعتبرون حكام روسيا الحقيقيين، ولم يتحدث عن القوات التنفيذية التى هى عصب القوة فى نظام لينين - تروتسكى. هو فقط مهتم بمجلس الوزراء، وبالمثل كان هناك يهودى بارز واحد فى المجر أيضاً ولكنه كان بيلا كون وهارد بالطبع لا يطلب منا أن نصدق أن

وجود تروتسكى وكون قد دفع بأوروبا كلها لأن تصدق بأن الأيديولوجية البولشفية لديها عنصر يهودى قوى، ومثلما هو الأمر صعب بالنسبة لهارد أن يستوعب فكرة المؤامرة اليهودية، فمن الصعب عليه تصور مصداقية لغير اليهود! لماذا هو أسهل علينا أن نصدق أن الأغيار جاهلون من أن نصدق أن اليهود ماهرون؟

غير أنه ليس من المبالغة القول بأن تروتسكى موجود أعلى القمة مع لينين كما وأن تروتسكى يهودى، ولم ينكر أحد هذا الأمر ولا حتى السيد برونشتاين نفسه (والأخير اسم لتروتسكى فى الولايات المتحدة).

ولكن يقول السيد هارد إن (المناشفة)<sup>(\*)</sup> يتزعمهم يهودى أيضا ! وهذه حقيقة يجب أن نضعها بجانب الحقائق الأخرى. تروتسكى إذن على رأس البلاشفة، بينما يتزعم المناشفة - حينما كانوا فى صفوف المعارضة - لايبير ومارتوف ودان - "كلهم يهود" كما يوضح مقال هارد.

غير أن هناك حزباً وسيطاً بين هاتين القوتين المتطرفتين، وهم الكادتز والذين يقول عنهم هارد بأنهم كانوا الحزب السياسى البورجوازي الأقوى فى روسيا، "الآن مقر رئاستهم فى باريس ورئيسهم هو فيناثر - يهودى كذلك".

وهذه هى الحقائق كما قررها مقال هارد ، ويضيف بأن اليهود الذين يذكر أسماءهم يتزعمون أكبر ثلاث فصائل سياسية فى روسيا، ثم بعد ذلك يصرخ: انظروا كيف أن اليهود منقسمون؟ كيف يمكن أن تكون هناك مؤامرة بين أناس يحارب بعضهم البعض؟

ولكن إذا ما عاين شخص آخر الموضوع، ربما يقول انظروا كيف يسيطر اليهود على كل مرحلة من مراحل الرأى السياسى فى روسيا ؟ أليس هناك مبرر للشعور بأنهم تواقون للسيطرة والحكم فى كل مكان؟

الحقائق إذن متاحة، ولكن ماهو المغزى - بالنسبة للشخص العادى - الذى تقدمه حقيقة أن أكبر ثلاثة أحزاب فى روسيا يتزعمها يهود ؟ هذا التساؤل بطبيعة الحال لا يقلل من أهمية المعلومات التى قد يجدها القارئ فى مقال هارد.

(\*) المناشفة: أعضاء فى جناح الحزب الديموقراطى الاشتراكى الروسى.

ثم يتحول هارد إلى الولايات المتحدة، ويقدم عددًا من التصريحات الهامة.

يقول هارد بأنه "يوجد أوتو كاهان"، حسناً، أحياناً أوتو كاهان موجود هنا، وفى أحيان أخرى موجود فى باريس فى مهام دولية مهمة، وأحيان أخرى هو موجود بلندن يروج لتحالفات معينة بين رأس المال الأمريكى والبريطانى والذى هو على علاقة إلى درجة كبيرة بالأحوال السياسية فى أوروبا، ويصنف السيد كاهان على أنه محافظ، وقد يعنى هذا شيئاً ما، فالشخص قد يكون أو لا يكون محافظاً طبقاً للزاوية التى ينظر إليه منها، ذلك أن أكثر الرجال محافظة فى أمريكا هم عادة أكثرهم راديكالية، ودوافعهم وطرقهم عادة ماتتطرق لجذور بعض الموضوعات، فهم راديكاليون حتى فى مجال تخصصهم، والرجال الذين سيطروا على الاجتماع الأخير للجمهوريين - إذا لم يكن الأخير فالذى عقد مؤخراً - هم يعتبرون من المحافظين من قبل أولئك الذين رؤيتهم محدودة ومحكومة بمصالح اقتصادية محدودة، ولكنهم أكثر الراديكاليين راديكالية. وإذا ما علمنا ما يدور فى عقل السيد كاهان، إذا كان بإمكانه أن يقدم لنا بياناً بما يفعله ويسعى لفعله، فإن المصطلح الذى يصفه بدقة قد يكون مختلفاً، على أية حال لقد حصلنا عليها من السيد هارد: "السيد كاهان موجود".

"من ناحية أخرى" يضيف السيد هارد "هناك روز پاستور ستوكس" ثم يضيف اسم موريس هيلكوييت، هؤلاء - حسب توصيف السيد هارد - هم راديكاليون ، ولكى يوازن هذه الأسماء أضاف اسمين من الأغيار: يوجين فى. ديبس، وبيل هايوود، وقام بالإيعاز بأنهم أكثر نفوذاً من الأسماء الأولى اليهودية التى ذكرها. غير أن دارسى التأثيرات الحديثة - والتى بدا كما لو أن السيد هارد واحد منهم - لا يعتقدون بذات الأمر. فلا ديبس ولا هايوود تمكنا أثناء حياتهما من إحداث جزء من النفوذ الفكرى الذى تمكنت كل من السيدة ستوكس والسيد هيلكوييت من إحداثه، فكل من ديبس وهايوود يتعايشان مع الآخرين، ولكل شخص عليم مثل هارد، فإن الأسماء اليهودية التى جاءت فى مقاله، ترد على الذهن حينما تُبحث الميول الاجتماعية فى الولايات المتحدة.

وهذا أمر جد توجيهى بالفعل، ذلك أنه بتسميته أسماء قادة الحركة المحافظة والراديكالية، فإن هارد منساق إلى استخدام الأسماء اليهودية، وحين يكشف هذا

الأمر فإن من حق القارئ أن يقول بأن اليهود يتزعمون الحركتين فى الولايات المتحدة.

ولكن هارد لم يفرغ بعد: " فالشخص الذى يفعل أكثر مما يفعله أى شخص آخر، والشخص الذى يفعل أكثر مما تفعله أية فرقة من الرجال الآخرين لإبقاء العمل الأمريكى غير راديكالى ليس سوى صامويل جومبيرز، وهو يهودى"، هذه حقيقة سوف يضيفها القارئ إلى القائمة - حركة العمال الأمريكية يتزعمها يهودى.

حسنا إذن " أقوى اتحادات العمال المناوئة لجومبيرز فى البلاد "عمال الملابس المندمجون" هم أقوىاء بالفعل ويتزعمهم يهودى هو سيدنى هيلمان !.

إذن عدنا إلى الوضع فى روسيا مرة أخرى! كلا الطرفين يُسيطر عليه يهود. وهى حقيقة لا يملك هارد سوى الاعتراف بها بحكم طبيعة مهمته، أما المنظمة الوسيطة "الوسط الليبرالى" كما يصفه هارد فى مقاله، فهو يعمل على اتخاذ موقف وسط، ويرد فى مقال هارد أسماء السيد رئيس القضاة براندايس والقضاة ماك وفليكس فرانكفورتير وهم من السادة الذين تصلح أنشطتهم منذ الهدنة الحربية (يشير إلى الحرب العالمية الأولى) لأن تكون قصة مثيرة للاهتمام.

ويزيد هارد اسمين إضافيين هما "بارون جونزبرج" - وهو يهودى، ويعد بمثابة "مسئول مخلص" للسفارة الروسية وللسير باخماتيف، وهو أيضا ممثل للنظام القديم فى صورته المعدلة، أما مكتب الإعلام الروسى، والذي يظهر إنتاجه الأدبى فى العديد من جرائدنا، فيديره يهودي آخر، ويطلق عليه هارد السيد آيه. جى. ساكس، وهو اسم مألوف لقارئ الصحف.

هذه ليست بطبيعة الحال القائمة الكاملة، ولكنها مثيرة للدهشة، وهى تلقى كذلك الضوء على الوثائق التى يسعى هارد جاهداً لأن ينزلها فى مرتبة عديمة الأهمية، الأمر الذى يقودنا إلى الاعتقاد بأنه ربما فحصت تلك الوثائق بشكل دقيق؛ لأن من قرأها قد أدرك ليس فقط الحقائق التى أتى هارد على ذكرها فى مقاله، وإنما أموراً أخرى مثيرة للدهشة، بل لربما اكتشف أن تلك الوثائق إنما تؤكد وتوضح الملاحظات السابقة، أما القراء الآخرين الذين لم يتسن لهم الاطلاع على كل ما تحويه هذه الوثائق، فإنهم يكتفون بالاهتمام الذى أثارته هذه الوثائق.

ويجب التأكيد على أن هذه الوثائق لم تخلق المسألة اليهودية، وإذا لم يكن هناك سوى الوثائق فإن هارد لم يكن ليكتب أى شىء على الإطلاق، وما كانت مجلة المتروبوليتان لتتشر هذا المقال الذى نحن بصدده.

ربما أن ما فعله هارد هو التأكيد فى مكان غير متوقع على الإطلاق - أى جريدة المتروبوليتان - على أن المسألة اليهودية موجودة وتلح على النقاش. وقد أدت الكتابة عن "المؤامرة اليهودية الكبرى" بإحساس البعض بضغط تمارس عليهم<sup>(\*)</sup>.

(ديربورن إنديننت، العدد ٢٦ يونيو ١٩٢٠م)

\* \* \*

---

(\*) ربما فى إشارة للكاتب نفسه الذى كتب عنها بشكل غير مباشر، وربما يشير إلى اليهود الذين أحسوا بالضغط من جراء كشفهم.